



الصدقة في العصر الرقمي

الصدقة في العصر الرقمي: يبدو أن الحياة المعاصرة تشهد تفككا لكافة علائق الإنسان، وإعادة تشكيلها من جديد على أسس مغايرة، فبات إيقاع الحياة سريعا وسطحيا، وتحتل الرقمية فيه مكانا بارزا في صياغته، فشهدت الصدقة كقيمة وعلاقة إنسانية تراجعاً كبيراً وتغيراً في العقود الأخيرة، فأضحت الصدقة تتشكل وتنتهي على صفحات الوسائط الرقمية، وتقتبس من طبيعة الرقمية وإمكاناتها.

قديمًا حدد الفيلسوف أرسطو ثلاثة غايات للصدقة، هي: المنفعة والمتعة والفضيلة، واستحوذ التقسيم الأرسطي على مفهوم الصدقة لقرون طويلة تأسست فيها الصداقات على الاحتكاك المباشر، وكان الزمن عاملاً محورياً لانتقالها من علاقة عابرة لتتحول لصدقة، لذا كانت الصداقات محدودة العدد، وتتسم بالتأز والتعاون والتفاعل المتواصل، لكن مع **الحدثة** ثم الرقمية أصبح للصدقة فلسفة مختلفة وطرائق أخرى للتشكل.

تراجع الصدقة في العصر الرقمي

الواقع أن الصداقات القوية العميقة تؤثر في تشكيل الذات، فتعد ساحة للتفاعل الأخلاقي والتأثر المتبادل، ومع الرقمية بدأنا نشهد تطورا واتساعا في الصداقات الضحلة السطحية على صفحات التواصل الاجتماعي، وتراجعا للصدقات العميقة، فيكفي أن الصدقة في العصر الرقمي تجرى عبر إرسال طلب بالصدقة وقبول الطرف الآخر لها، وبات أقصى ما يريجه الصديق الرقمي هو أن ينال متابعة صديقه الرقمي وإعجابه، وإذا لم يحظ بذلك، فإنه لا يتردد في حظه.

أنواع الصدقة في العصر الرقمي

أنواع الصدقة في العصر الرقمي، تتألف من ثلاثة أنواع هي:

- الصداقات في العالم الرقمي،

- الصداقات خارج الرقمية،

- الصداقات المختلطة.



وتتسم الحياة المعاصرة بحركة التنقل السريع سواء للعمل أو الدراسة، ومع توافر إمكانات التواصل والتفاعل أتاح العالم الافتراضي إمكانات كبيرة للصدقة، ورغم ذلك فإن العالم يشهد تراجعاً في **الصدقة**، وميلاً إلى العزلة، وإيثارا للتواصل عبر الوسيط الرقمي أكثر من التفاعل المباشر.

تظهر دراسات استقصائية في الولايات المتحدة وعدد من الدول الغربية، أن هناك ركوداً وتراجعاً في الصدقة، فقد انخفض عدد الأصدقاء المقربين للشخص انخفاضاً حاداً خلال العقود الثلاثة الأخيرة، وكان الرجال هم الأكثر تأثراً في هذا الانخفاض، كما ارتفعت نسبة الأشخاص الذين ليس لهم صديق مقرب خمس مرات، فقد كانت نسبتهم 3% عام 1995، وباتت 15% عام 2021م، وهو ما يعني تزايد العزلة الاجتماعية ومضارها النفسية والصحية.

تكوين الصداقات الوثيقة

أظهرت دراسة مسحية أمريكية عام 2021م، أن هذه الفترة هي الأقل من أي وقت مضى في تكوين الصداقات الوثيقة، وأن أكثر من نصف الأمريكيين لديهم ثلاث صداقات وثيقة أو أقل، وأن الحديث مع الأصدقاء بات أقل، وكذلك الاعتماد عليهم أقل، رغم أن الصدقة الجيدة من عوامل تحقيق الرفاهة النفسية.

والرفاهة النفسية مفهوم مهم للغاية، فهو يعبر عن مؤشرات إيجابية من بينها الرضا عن الحياة، وإيجاد معنى للحياة، وهو ما يدفع الشخص نحو تجارب اجتماعية وحياتية ناجحة، وفقاً لما تؤكدته نظرية **“التوسع والبناء”** [1] والتي تنص أنه عندما يواجه الأفراد مشاعر إيجابية، تتسع ذخيرتهم من الأفكار والأفعال، ويؤدي ذلك موجة تصاعديّة من المشاعر الإيجابية الجديدة والأعمق، وهذا بدوره يؤدي إلى بناء الموارد، التي تدوم بمرور الوقت، وتكون بمثابة درع وقائي ضد الشدائد والأزمات. أضف إلى ذلك أن المشاعر مُعدية، فالسعادة تنتقل من الصديق إلى مجتمع الأصدقاء، ووجود أصدقاء إيجابيين ومتفائلين فإنهم ينقلون تلك المشاعر والروح الإيجابية إلى أصدقائهم، وتلك الحالة الإيجابية تقاوم الاكتئاب والسلبية، لذا ففرص سعادة الفرد تزداد عندما يرتبط بشخص سعيد.



والحقيقة أن الرقمية قد تكون مسؤولة عن حالة التراجع في الصداقة، وتزايد مشاعر الوحدة والانعزال، لكن الأخطر هو أن تراجع الصداقة قد يعبر عن رؤية للتعامل مع العالم المادي الخارجي، ورغبة عارمة في الانغماس في العالم الافتراضي، وإعادة موضعة الذات هناك بكل يحمله التشكل الجديد من خصوصية وسرعة في كسب الأصدقاء وفقدانهم، وعلاقات سطحية عابرة لا تعرف العمق، وتكتفي فيه الصداقة بالحصول على شارة الإعجاب دون الانتقال إلى التضامن والمساندة الحقيقية.

وإذا كانت الرقمية قد جلبت السهولة والسرعة في تكوين الصداقات، إلا أن جلبت أيضا السطحية، فعلاقات الصداقة في العصر الرقمي سطحية، وتتسم بالفردية، وباتت الصداقة وسيلة لتحصيل الإعجاب، وليست قيمة في حد ذاتها، وهو ما يعني أنها خضعت لمنطق التسليع، أي أصبحت سلعة يتم التمسك بها مادامت ذات نفع وعائد.

ومن ناحية أخرى فالرقمية أصابت الغالبية بالنجسية والإعجاب بالذات، وأصبحت متعة الشخص أن يلتقط صورة لنفسه “سيلفي” وينشرها على صفحته على مواقع التواصل الاجتماعي، صورة من النادر أن ترى فيها مجتمع الأصدقاء، الذين كانوا حاضرين بكثافة في الصورة في الماضي.

صورة مقال

الصداقة ضرورة

تؤكد الأبحاث الطبية ودراسات الصحة النفسية والعقلية، أن الصداقة عنصر مهم في حماية صحتنا الجسدية والعقلية، وأن الأصدقاء الجيدون يساهمون في إدارة مشاكل الحياة بطريقة أفضل، وفي صياغة معنى للحياة، وتخفيف الضغوط النفسية، ومنح الشخص إحساسا بالذات والدعم النفسي وقت الأزمات، ويساهمون في تعايش الشخص مع صدمات الحياة، ويخففون من حدتها، وأن الصداقة تقاوم أمراض الاكتئاب، خاصة في مرحلة المراهقة، وأن المراهقين ذو الصداقات الجيدة، هم الأفضل في التفاعل الاجتماعي، وتظهر دراسات أن الأشخاص الذين ليس لهم أصدقاء مقربون، هم الأقل رضا عن حياتهم؛ بل يتعرضون لمشاكل صحية، مما يؤثر على حياتهم.



خلصت **دراسة** أجريت عام 2023م، بعد بمراجعة (38) دراسات أجريت من العام 2000 حتى العام 2019، على أكثر من (308) ألف شخص، أن صداقات البالغين، وخاصة الجيدة، التي توفر الدعم الاجتماعي والنفسي، يمكن أن تحمي من مشاكل الصحة العقلية، مثل: الاكتئاب والقلق، وتستمر هذه الفوائد طوال فترة الحياة وأن الأشخاص الذين ليس لديهم أصدقاء، أو صداقات سيئة هم أكثر عرضة للوفاة، وهذا أخطر على الصحة من آثار تدخين 20 سيجارة يوميًا، وفي بريطانيا أجريت دراسة على (480) ألف شخص، وخلصت أن مشاعر العزلة والوحدة والافتقار إلى صداقات جيدة يزيد من نسبة الإصابة بالنوبات القلبية والسكتات الدماغية.

إن فهم الطبيعة البشرية، وفهم طبيعة الوسيط الذي تتحرك فيه الغالبية العظمى من الصداقات في العصر الرقمي، يؤدي إلى تخفيض سقف المأمول من الصداقة، من حيث عمقها، وحضورها في حياة الإنسان المعاصر.

وقد كتب أديب العربية “**مصطفى صادق الرافعي**” عن نماذج من الأصدقاء لا يريد لهم، يقول الرافعي: “لا أريد بالصديق ذلك القرن الذي يصحبك كما يصحبك الشيطان، لا خير لك إلا في معاداته ومخالفته، ولا ذلك الرفيق الذي يتصنع لك ويماسحك متى كان فيك طعم العسل؛ لأنَّ فيه روح ذبابة، ولا ذلك الحبيب الذي يكون لك في همِّ الحب كأنه وطن جديد، وقد نُفيت نفي المبعدين، ولا ذلك صاحب الذي يكون لك كجلدة الوجه تَحْمُرُّ وتَصْفَرُّ، لأنَّ الصحة والمرض يتعاقبان عليها، فكل أولئك الأصدقاء لا تراهم أبداً إلا على أطراف مصائبك، كأنهم هناك حدود تُعرف بها من أين تبتدئ المصيبة لا من أين تبتدئ الصداقة”.

ومن ينظر إلى تلك النماذج يجد أنها هي التي تغص بها الحياة الرقمية في العالم الافتراضي.